**هدف المحاضرة:** التعرف على المدرسة السوفسطائية، وموقفها من مسألة المعرفة والدين والأخلاق.

**المحاضرة الخامسة: المدرسة السوفسطائية**

يجمع المؤرخون على أن السوفسطائيين كانوا مجموعة من المعلمين الأحرار الذين احترفوا التعليم لقاء أجر مرتفع ، وكانوا يعلمون الناس خاصة أولئك الشباب المتعطش إلى المشاركة السياسية والمتطلعين إلى المناصب العليا في الدولة، حيث كانوا يعلمون هؤلاء الشباب فن الكلام والخطابة، وفي نفس الوقت فن النجاح في الحياة العملية. وقد ظهرت هذه الطائفة من المعلمين في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد في مختلف المدن اليونانية. وبذلك أحدثت هذه الطائفة نقلة كبيرة في تاريخ الفلسفة كلها بعد أن كان الفلاسفة في البداية يهتمون بالطبيعة والعناصر الأربعة متجاهلين الانسان تماماً. ولكن السوفسطائيين تخلصوا من تلك النزعة الطبيعية لصالح الإنسان الذي أصبح مقياس الأشياء جميعاً.

**أولا: معنى السوفسطائي**

أطلق هؤلاء المعلمين على أنفسهم لقب(السوفسطائي sophist) وهو مشتق من لفظة ( sophos ) التي تعني الحكمة أو المهارة، أي أن السوفسطائي كان هو ذلك الشخص الماهر الحاذق في فن معين من الفنون. ورغم أن هذه الكلمة كانت تطلق أحيانا على كبار الشعراء والفلاسفة والموسيقيين وأيضا على الحكماء السبعة، إلا أنه أصبحت شيئا فشيئا اسم علم يطلق على هذه الطائفة الجديدة من المعلمين، ولا شك أن من أبرز هؤلاء الذين يمثلون هذه الطائفة بروتاغوراس وجورجياس وأنطيفون وبروديقوس وهبياس.

**ثانيا: المعرفة عند السوفسطائيين**

تحدث السوفسطائيون عن المعرفة خاصة عند بروتاجوراس ( 481 ــ 411 ق م ) حيث اعتبر أن المعرفة حسيه فقط لا تتم إلا بالحواس. يقول بروتاجوراس : " الإنسان مقياس الأشياء جميعا"، فهو مقياس ما يوجد وما لا يوجد. ويعني هذا أن المعرفة نسبية أي أن الحقيقة هي كما تبدو لي، وتبعا لذلك فإن نفس الشيء حسن بالنسبة لي بينما للآخرين قد يكون عكس ذلك أي قبيح، ولذلك فكل الأحكام تكون صادقة لأن الشيء غالبا ما يظهر جميلا عند البعض وعلى الضد عند الآخرين، إذن فالمعرفة

نسبية وكذلك الحقيقة وأن الوسيلة الوحيدة للإدراك هو الحس ( الحواس) ودونها لا يمكن أن تتحقق المعرفة. لقد شكك بروتاغوراس إذن في كل معرفة نتصور أنها عامة وحقيقية لدى الجميع واعتبر أن المعرفة ذاتية تختلف من شخص إلى آخر بحسب إدراكاته الحسية الخاصة، وأن كل ما يدركه المرء إنما هو صحيح بالنسبة له، ويمكن لكل منا أن يبرهن على صحة ما يعتقد وبحجج متساوية إذا كان كل منا يملك نفس القدرات الجدلية. وأما جورجياس ( 483 ـــ 375 ق م ) فيقول: " لا يوجد شيء. إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن ادراكه. إذا فرضنا أن إنساناً أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس".

وشرح عباراته بالشكل التالي: بالنسبة للعبارة الأولى: اللاوجود غير موجود من حيث أنه لاوجود والوجود غير موجود كذلك، فإن هذا الوجود إما أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان قديماً فهذا يعني أنه ليس مبدأ، وأنه لامتناه. أما إن كان حادثاً، فإما أن يكون قد حدث بفعل شيء موجود أو بفعل شيء غير موجود. أما العبارة الثانية: لكي نعرف وجود الأشياء يجب أن يكون بين تصوراتنا وبين الأشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالعلم، بمعنى أن يكون الفكر مطابق للوجود، وأن يوجد الوجود على ما نتصوره، ولكن هذا باطل. أما العبارة الثالثة: فترجع حجته إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة ولكن ألفاظ اللغة إشارات وضعية ورموز، وليست مشابهة للأشياء المفروض علمها، فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركاً بالسمع، والعكس بالعكس، فإن ما هو موجود خارجاً عنه مغاير للألفاظ، فنحن ننقل للناس ألفاظنا وليس أشياء. فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان.

**ثالثا: الدين عند السوفسطائيين**

لقد كانت الحركة السوفسطائية بمثابة ثورة على المعتقدات السابقة كلها بما فيها الدين، وكان بروتاغوراس متسقا مع نفسه ومع جوهر فلسفته حينما كتب في ( عن الألوهية ) لا أستطيع أن أعلم إذا كانت الآلهة موجود أو غير موجودة، ولا هيئتها ما هي، لأن أمورا كثيرة تحول بيني وبين هذه المعرفة منها غموض الموضوع وقصر الحياة، وقد ثار الأثينيون حينما سمعوا بهذا القول، لأنهم كانوا شديدي التأثر بكل ما يتعلق بالمسائل الدينية، ولذلك تمت محاكمته وصدر عليه حكم بالنفي وبإحراق مؤلفاته في ساحة المدينة. وهذا القول عن الآلهة رغم غرابته فقد كان متسقا مع نظرية بروتاغوراس عن المعرفة فما دام الإنسان الفرد بحواسه هو معيار وجود الأشياء جميعا، فمسألة وجود الآلهة إذن ينبغي أن تخضع لهذه النسبية ولنفس المعيار، وما دامت الحواس غير قادرة على إدراك هذا النوع من الوجود ( وجود الآلهة ) فالموضوع إذن غامض كما أن حياة الإنسان قصيرة لدرجة أنه لا يمكنه أن يأمل في أن تقع الآلهة في نطاق خبرته الحسية ذات يوم.

**رابعا:** **الأخلاق عند السوفسطائيين**

لقد كان طبيعيا أن تمتد نظرية السوفسطائيين في نسبية المعرفة إلى مجال الأخلاق، فطالما أن الإنسان الفرد هو معيار وجود ما يوجد ولا وجود ما لا يوجد ، فهو كذلك معيار الخير والشر، فإن قال عن شيء أنه خير فهو خير بالنسبة له، وإن قال عن شيء أنه شر فهو شر بالنسبة له أيضا، إن نسبية المعرفة تستتبع إذن نسبية الفضائل بحسب ما يراه كل شخص تبعا لما يحقق مصلحته الشخصية ومنفعته. لقد عبر السوفسطائيين إذن ودون استثناء عن هذه النسبية الأخلاقية التي ترى

أنه لا فرق بين ما يسمى لدى الناس ( فضائل ) وما يسمى ( رذائل ) لأن ما يراه البعض فضيلة قد يراه الآخرون رذيلة. فالأخلاق هنا تصبح نسبية أي لا قانون ثابت لكل الأمم. فكل قوم وكل شخص لديه رأيه الخاص فالأخلاق هنا نسبية ، فالخير والشر والحق والباطل والسعادة والألم والكذب والصدق والمنفعة كلها نسبية.